فى رحاب القرآن الكريم

بقلم
الدكتور زكى محمد أبو سريع
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

المقدمة :

الحمد لله منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده . والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجهم إلى يوم الجزاء .

وبعد :

فلما أراد الله بالمعمورة خيراً ، خلق فيها من يقوم بالخلافة عنه ، يحق الحق ، وينشر العدل ، ويدعو إلى الصراط المستقيم .

وكان مما تقتضيه الحكمة أن يضع لهم الدساتير ويسن لهم القوانين ، ويشرع لهم الشرائع ويرسل إليهم المرسلين ، فيأخذوا بأيديهم إلى الطريق التى هى أقوم .

ولما بلغت البشرية إلى مرحلة النضج العقلى ـ أو كادت ـ أنزل عليهم رحماته ورضوانه ممثلا فى أعظم ما نزل من كتب وصحف ألا وهو القرآن الكريم على قلب أعظم مخلوق وأكرم نبى وأشرف رسول : محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وضمن هذا الكتاب ما يضمن لهم السعادة فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ، فكان أسلوب حياة راشدة ومنهاج الدين القويم .

ووقف العلماء أمام كتاب الله العزيز ، فراعهم جلاله ، واستهواهم سناؤه ، فثبتوا خاشعين ، وخضعوا قائلين : « سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم »(١) .

فهموا آياته ، وأخذوا من أسراره ، واستنبطوا منه الأحكام والقواعد ، ولايزال القرآن مصدر عطاء ونور هداية ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأمام هذا الخير العميم ، والفيض العظيم ، أمسكت القلم - على استحياء - لأكتب بحثاً عن القرآن الحكيم فإن لم آت بجديد فلعلى أسلك فى سلك المحبين .

وكان البحث متضمناً لنقاط . أهمها :

١ - الحكمة من خلق البشرية .

٢ - الحكمة من إرسال الأنبياء والمرسلين وتأييدهم بالمعجزات .

٣ - أفضلية القرآن على ماعداه من المعجزات .

٤ - إعجاز القرآن .

٥ - خصائص القرآن .

٦ - من فضائل القرآن .

٧ - أهل القرآن .

٨ - الاهتمام بكتاب الله عز وجل .

٩ - جزاء تارك القرآن وناسيه .

أسأل الحق تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن اعتقاداً وقولا وعملا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (آمين) .

د . زكى محمد أبو سريع

---

(١) من الآية (٣٢) من سورة البقرة .

الحكمة من خلق البشرية

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى، أن يرسل إلى هذه المعمورة من يعمرها بالخير والعدل ، والمحبة والسلام .

وأن يدفع عنها كل ما يتنافى مع هذه الغاية المرجوة ، وتلك المهمة المحمودة .

فأنزل عليهم من الكتب والصحف ، وشرع من الدساتير والقوانين ، ما يضمن لهم استمرارهم فى هذه الحياة دون حرج أو تنكب لسواء السبيل .

وكان من اختارته الإرادة الإلهية ، وزودته بأسباب العناية الربانية هو أبو البشرية « آدم » عليه السلام .

يقول عز وجل فى معرض الحديث عن قصة الآدمية الأولى :

« وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون » وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون »[1].

وبنزول (آدم) عليه السلام ، تسرى الحياة فى هذا الكوكب الأرضى، وتمر الأيام والسنون.

ولكن الله ــ جلت حكمته ــ لم يخلق الحياة والأحياء عبثاً ،ولم يتركهم سدى ، بل لا بد من أن ينزل عليهم ما ينظم لهم حياتهم ، ويصحح لهم

---

(١) الآيات من (٣٠ ــ ٣٣) من سورة البقرة .

مسيرتهم ، دونما زيغ أو ضلال ، حتى تصل إلى هدفها المنشود ، على درب الحياة الطويل .

أرأيت ذلك المسافر الدءوب، يقطع السهول والوديان ، والفيافى والقفار، كيف تكون حاله وقد تراءى له من قريب أو من بعيد ، ظل ظليل ؟ وواحة خضراء ، تجرى من تحتها الأنهار ، وحبائل الجداول ؟ وقد داعبتها تلك الثمار اليانعات وأشجار النخيل الباسقات ؟

إن الإنسان فى تلك الأجواء : سيتجدد أمله ، ويقوى نشاطه ، ويستمر فى رسالة الحق إلى الخلق ، غير عابىء بما يكتنف ذلك من صعاب ثقال .

أنزل الله تباركت أسماؤه : الشرائع على أساس التوحيد والمساواة بين الناس : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »[1] .

بيد أن هناك حكما لا حصر لها — كان من أبرزها — تأكيد عظم المسئولية ، وإسنادها إلى ذويها :

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما »[2] .

ومن ذلك الحين البعيد : والبشرية قائمة بأمر الله وحقه وعدله ، وكلما تنكبت جادة الطريق السوى ، أرسل الله إليها من يأخذ بأيديها إلى سواء الصراط ، ويقيها مراتع السوء والهلكة والدمار .

روى أبو داود بسنده عن أبى ذر — رضى الله عنه — أنه سأل النبى ﷺ ، عن أول الأنبياء فقال : أى الأنبياء كان أول يا رسول الله ؟ قال : آدم .

---

(١) الآية (١٣) من سورة الحجرات .

(٢) الآية (١٦٥) من سورة النساء .

قلت : أو نبي كان ؟ قال : نعم ، نبـي مكلم . قلت : كم كان المرسلون يا رسول الله ؟ قال : ثلاثمائة وخمس عشرة جماً غفيراً »[1] .

ولما وصلت البشرية إلى نضجها العقلي — أو قاربت — وأصبحت فى مستوى يؤهلها لاستقبال أعظم رسالة على يد أعظم رسول : ألا وهو محمد بن عبد الله - ﷺ - وذلك بعد أن مهد الإله لهذا وفق سنته فى الكون :

« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »[2] .

وقد جرت — مشيئته — تعالى أن يؤيد أنبياءه ورسله بمعجزات تؤيدهم وتشهد بصدقهم ، وتقيم الحجج والبراهين على المعارضين المكذبين ، كأن الله سبحانه وتعالى يقول : « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » .

ومن أعظم هذه المعجزات : بلا ريب أو جدل ، القرآن الكريم ، فقد جمع علوم الأولين والآخرين ، إحاطة وشمولا ، من لدن نزوله إلى أن يرث الله غيره — وهو خير الوارثين .

لا يحطره مكان ، ولا يحده زمان ، لم تخاطب به البشرية وحدها ، ولكن خوطب به العالمون أجمعون :

« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم »[3] .

« وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا

---

(١) مسند أبي داود ٢/٨١ .

(٢) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٣) الآية (٥٢) من سورة الشورى .

أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم * ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم »[1].

هذا — وقد اختصه منزله بصفات ، لم يتصف بها سائر ما نزل من كتب أو صحف ، قال تعالى :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[2].

كما ضمن له دوام الحفظ ، وصرف أى محاولة للنيل منه أو الكيد له ، من تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان ، يقول جل شأنه :

« وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »[3].

لقد أسس أسسه ، وأرسى قواعده ، وفصله جناب الحق الأقدس :

« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »[4].

كما نزهه عن القصور أو التقصير ، أو الغفلة أو التغافل ، بل زوده بما يحفظ للإنسانية سعادة الدنيا وفلاح الآخرة :

« ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهـــدى ورحمة وبشرى للمسلمين »[5].

---

(١) الآيات من (٢٩ — ٣١) من سورة الأحقاف .
(٢) الآية (٩) من سورة الحجر .
(٣) الآيتان (٤١،٤٢) من سورة فصلت .
(٤) الآية الأولى من سورة هود .
(٥) من الآية (٨٩) من سورة النحل .

أفضلية القرآن على ما عداه من معجزات :

كان من شأن الأنبياء والمرسلين السابقين ، أن يمدهم الله بمعجزات حسية أو معنوية ، موقوتة بوقتها ، ولا تستمر الآثار بعد وفاة الرسل إلا قليلا .

أما الرسول ﷺ ، فقد فضله على من سواه ، وأكرمه وجعل معجزته مفضلة على سائر المعجزات ، باقية ما بقيت الحياة والأحياء .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

« ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »(١) .

ومعنى هذا : أن كل نبي من الأنبياء أعطى من المعجزات ما كان دليلا على تصديقه فيما جاء به ، ولما مات الأنبياء ولحقوا بربهم — سبحانه — لم يبق من معجزاتهم شيء ، إلا النذر اليسير ، وهو ما جاء حكاية على لسان أتباعهم وأحفادهم أما الرسول العاقب الذى لا نبي بعده ، الخاتم للأديان فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منقولا إلى الناس بالتواتر ، ولا يزال — مع تعاقب الأجيال والسنين — كالحالة التى نزل عليها من حيث الإعجاز والفصاحة والبيان .

ومن حيث الأحكام المتعلقة به كالحفظ أو النسيان أو التعبد بتلاوته أو العمل به وعمومه وشموليته إلخ .

من أجل هذا ، كان النبي ﷺ صادقا فى نبوءته حيث قال : « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » فقد تحقق له — ما تنبأ به :

فإن أتباعه والمؤمنين بدعوته ، أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالتها وصلاحيتها للدوام إلى قيام الساعة .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأنبياء . باب فضائل النبي ﷺ .

إعجاز القرآن :

من خصائص القرآن ، وإثبات أنه من عند الله ، أن الله تبارك وتعالى ، تحداهم بالإتيان بمثله ، وهم أرباب الفصاحة وأصحاب البيان ، وفرسان البلاغة والمهرة بفنون اللغة وأساليبها ، ولكنهم عجزوا ، إذ لو فعلوا لنقل إلينا ذلك ، ولما لم يفعلوا مع قيام الدواعى ، ثبت عجزهم وأنه من عند خالق القوى والبشر « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[1] .

ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور منه ـ ولو على سبيل الافتراء ـ فعجزوا . يقول تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »[2] .

ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، يقول تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »[3] .

ومرد هذا فى حقيقة الأمر ، إلى أنه فوق طاقتهم البشرية ، لما فيه من العلم الشامل ، والمنهاج النافع ، والكلام الفصيح ، والأسلوب البليغ ، والأخبار الصادقة فى الماضى والمستقبل ، والإحكام والتفصيل ، كل هذا فى عبارات وجيزة وافية للأغراض : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[4] .

---

(١) الآية (٨٨) من سورة الإسراء : انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن ٢ / ١٠٠ .

(٢) الآية (١٣) من سورة هود .

(٣) الآيتان (٢٣ ، ٢٤) من سورة البقرة .

(٤) من الآية (١١) من سورة الشورى .

القرآن هو الملاذ الآمن :

لما كان القرآن منزلا من لدن حكيم خبير ، يعلم احتياجات الخلق وما يصلحهم ، كان الملاذ للخائف ، والعز للذليل ، والأمل لليائس ، والرجاء للقانط ، واليسر بعد العسر ، والرخاء بعد البؤس ، والعصمة من الفتن ، والنجاة لمن أشرف على مواقع الهلكة ، والمنحة لمن تمسك به ، والمحنة لمن تنكب طريقه ما عاش . عن الحادث الأعور . قال : مررت فى المسجد ، فإذا الناس يخوضون فى أحاديث ، فدخلت على على فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال : أما إنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنه » فقلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »(١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٧/٤٣٤ ، المسند للإمام أحمد فى فضائل القرآن .

كثرة الرد ، فاتلوه ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول : ألم ، حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر »(١) .

من فضائل القرآن :

كتاب الله الحكيم ، هو أفضل ما نزل من كتب سماوية ، وصحف ربانية ، وذلك لأنه جمع علوم الأولين والآخرين ، لم يترك باباً من الخير والنفع إلا أمر به ، ولا باباً من الشر والضر إلا حذر منه ، ووضع العلاج الناجح له ، ففضل القرآن على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »(٢) .

فعن أبي موسى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ : « مثل الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، طعمها طيب ، وريحها طيب ، والذى لا يقرأ القرآن ، كالتمرة طعمها طيب ، ولا ريح لها . ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها »(٣) .

كما أن من رزق حفظه وتلاوته ، وأدى واجبه إلى غيره ، كان من أحسن الناس فضلا ، وأعلاهم قدراً ، وأرفعهم مكانة ، وأعطارهم ذكراً . . . عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٧/٤٣٥ .

(٢) من الآية (٢١) من سورة الحديد .

(٣) صحيح البخارى : باب فضل القرآن على سائر الكلام .

(٤) صحيح البخاري : باب خيركم .

أهل القرآن :

حملة القرآن وحافظوه بآدابه وأوامره ؛ بأمانة وتخشع ، مع خوف ورهبة ، القائمون عند حدوده ، سرى نوره فى قلوبهم ، واختلطت أسراره بأوصالهم أعرضوا عن الدنيا ، وأقبلوا على الآخرة، فكان لهم الغنى الحقيقى والعز السرمدى ، « ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »(١) .

أثنى عليهم القرآن الكريم فى كلمات مضيئات ، ومنازل باقيات لا تبارى ولا تجارى ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور »(٢) .

ثم بين مراتبهم ودرجاتهم على قدر اجتهادهم ، حفظاً ووعياً وعملا ، أو تهاوناً أو سبقاً أو توانياً ، حيث يقول :

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير »(٣) .

أهل القرآن : حبلهم بالله موصول ، وذكرهم بالله مرفوع ، وثوابهم عند خالقهم مضاعف ، يغبطهم أهل الكتب السابقة ، لما ظهر لهم من سمو المكانة ورفعة المنزلة .

روى ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال: « إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم : كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى ، كمثل رجل استعمل عمالا فقال : من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط ؟ .

---

(١) الآية (٩٦) من سورة النحل .

(٢) من الآية (٢٨) من سورة فاطر .

(٣) الآية (٣٢) من سورة فاطر .

فعملت اليهود ، فقال : من يعمل لى من نصف النهار إلى العصر ؟ فعملت النصارى ، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين ، قالوا : نحن أكثر عملا وأقل عطاء ، قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : فذاك فضلى أوتيه من شئت »[١] .

فهو كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[٢] .

لذا — ينبغى لكل راغب فى الخير، محب للثواب ، متطلع إلى الدرجات العلا ، والمنازل الرفيعة ، مقتد بالأنبياء والمرسلين ، أن يكون أسرع الناس إلى حفظ الله فى كتابه ، بحفظه والالتزام به ، والعمل بمضمونه ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا حسد إلا على اثنين : رجل آتاه الله الكتاب ، فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »[٣] .

الاهتمام بكتاب الله عز وجل :

القرآن الكريم : هو حياة القلوب ، وغذاء للنفوس، وطمأنينة للصدور ، فهو دستورها الخالد وصراطها المستقيم ، لا فلاح إلا به ، ولا نجاة إلا معه .

لذا : كان من واجبنا — صغاراً وكباراً ، شباناً وشيبة أن نهرع إلى

---

(١) صحيح البخارى : باب فضل القرآن إلخ .

(٢) الآيتان (٢٨،٢٩) من سورة الحديد .

(٣) صحيح البخارى : باب اغتباط صاحب القرآن .

كتاب الله العزيز : تردده الألسنة، وتعتصم به النفوس ، وتشرق به الأرواح، وتمتلىء به الأوصال اعتقاداً وعملا، وقولا وسلوكا ، فى حياتنا العامة والخاصة، وصدق الله حيث يقول فى شأنه :

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)[1].

وما وصى النبى ﷺ بشىء مثل ما وصى بالقرآن :

فعن طلحة بن مصرف ، سألت عبد الله بن أبى أوفى : أوصى النبى ﷺ؟ قال : لا ، قال : قلت : فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل[2] .

كما روى البخارى عن سهل بن سعد قال : أتت النبى ﷺ امرأة فقالت : إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ، فقال : « مالى فى النساء حاجة » فقال رجل : زوجنيها ؟ قال : « اعطها ثوباً » قال : « لا أجد ، قال : اعطها ولو خاتماً من حديد » فاعتل له ، فقال : « ما معك من القرآن » ؟ قال : كذا وكذا ، وفى رواية قال : معى سورة كذا ، وسورة كذا اسورعدها ، قال : أتقرأهن عن ظهر قلب » ؟

قال : « نعم » قال : « إذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن »[3].

جزاء تارك القرآن وناسيه :

من أعظم النعم التى أوتيها المسلمون : كلام الله عز وجـــل ، بيد أنه

(١) من الآيتين (١٥،١٦) من سورة المائدة .
(٢) صحيح البخارى باب الوصاة .
(٣) صحيح البخارى : باب القراءة عن ظهر قلب .

من الواجب على المسلم تعاهده واستذكاره ليل نهار حتى لا يتلفت من صدوه نتيجة الإهمال له ، والإعراض عنه ، وعدم الإبقاء عليه ، وهذا مما يسلمه إلى المحذور نعوذ بالله من ذلك . يقول تعالى محذراً من هذا العمل :

(ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[1] .

وعن أبي وائل عن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : « بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت بل نسي ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم »[2] .

واستذكار القرآن يكون بتعاهد تلاوته ، واستحضار القلوب ، وجمع الفكر وترقب بهمة وبصيرة ، فإذا كانت القلوب غافلة ، والنفوس شاردة والفكر مشتتاً ، فلا يتلو القارىء القرآن آنذاك ، بل يتلوه فى وقت آخر .

فعن جندب بن عبد الله — رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

« إقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه »[3] .

إذ لا يحصل المقصود من التلاوة آنذاك كما ثبت فى الحديث أنه قال عليه السلام : « أكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »[4] .

وقال : « أحب الأعمال إلى الله ، ما دام عليه صاحبه ـ وفى اللفظ الآخر ـ أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »[5] .

ثمرة التلاوة :

تلاوة القرآن بطهارة باطنية وظاهرية مع إخلاص القلب وسلامة العقيدة

---

(١) الآيات من (١٢٤ — ١٢٦) من سورة طه .

(٢) صحيح البخارى : باب القراءة إلخ .

(٣ ، ٤ ، ٥) تفسير ابن كثير جـ ٧ /٥٠٨ د — ٥٠٩ .

وصدق العمل ، يورث صاحبه الخوف والخشية من منزل القرآن فيترك ذلك على الجباة والعيون أثراً أى أثر .

وصدق القرآن حيث يقول : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)(١) .

فإن لم يرزق التالى هذه المنزلة ، فلا أقل من يهيء نفسه لأقرب منزلة إليها بالتخشع والتذكر والتخوف من بأس الله ووعيده :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إقرأ على » قلت : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ « إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى . قال : فقرأت النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ؟ .

قال لى : (كف أو أمسك) فإذا عيناه تذرفان(٢) .

هذا — ولا يظن عاقل أن القرآن وتلاوته مضيعة للوقت ، مفوتة لفرض الأجر والثواب ، فإن الله تبارك وتعالى يقول :

(من شغله قراءة القرآن عن دعائى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين)(٣) ،

وقوله عليه الصلاة والسلام : (إن لله أهلين من الناس) قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)(٤) .

روى الطبرانى بسنده عن ابن عباس قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال : (الحال المرتحل) .

---

(١) الآية (٢١) من سورة الحشر .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ / ٥٠٦ .

(٣، ٤) المصدر السابق ص ٥١٠ .

قال : يا رسول الله ما الحال المرتحل ؟ قال : (صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره ، وفى آخره حتى يبلغ أوله)[1] .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : (يقال لصاحب القرآن : إقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها[2] .

نسأل الحق تبارك وتعالى بمنه وجوده أن يجعلنا من العاملين بكتابه ، القائمين عند حدوده ، الملتزمين بسنة نبيه ﷺ .

د . زكى محمد أبو سريع

---

(١) المصدر السابق ص ٥١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١٥ .

أهم مراجع البحث

١ - القرآن الكريم .
٢ - تفسير جامع البيان للطبرى .
٣ - روح المعانى للعلامة الآلوسى .
٤ - تفسير القرطبى .
٥ - فى ظلال القرآن لسيد قطب .
٦ - إرشاد العقل السليم لأبى السعود .
٧ - تفسير ابن كثير .
٨ - صحيح البخارى .
٩ - صحيح مسلم .
١٠ - المستدرك للحاكم .
١١ - المسند للإمام أحمد .
١٢ - مختار الصحاح .
١٣ - منن الله على رسوله فى القرآن الكريم للدكتور زكى أبو سريع .
١٤ - تفسير ابن عطية تحقيق ودراسة للدكتور زكى أبو سريع .
١٥ - الدين الخالص لمحمود أمين خطاب .
١٦ - أحكام القرآن للجصاص .